غير ان صعوبات جمة اعترضت سبيل التحرر هذا ، في المناطق التي بقيت واقعة تحت **هيمنة النظام الاقطاعي** - هكذا ، بعكس يهود مدينة بوردو ، الذين اندمجوا تماما في الطبقة البورجوازية ، لم يختلف يهود الالزاس بشيء تقريبا عن اسلافهم في العصور الوسطى . وأدت الفتن الفلاحية ، الموجهة ضد الربا اليهودي ، الى اجبار نابوليون على سن قوانين استثنائية ليهود الالزاس . واثبتت القوانين القضائية البرجوازية عدم جدواها في حالة المجتمع الاقطاعي »(١٥). ان مزراحي الذي لا يسعه الا ان يلاحظ الاصلاحات التي أدخلتها الثورة الفرنسية على وضع اليهود ، يتعمد اللجوء الى مثال الالزاس واللورين للانتقاص من قيمة هذه الاصلاحات ، رافضا اخذ خصوصية الوضع في هذه المنطقة بعين الاعتبار (يمكن تبرير هذا الموقف لو لم يدع مزراحي الانتماء الى الاشتراكية « النقية ») .

وبعدها ، يبدأ مزراحي بتعداد كافة الاجراءات القمعية التي اتخذتها السلطات الاوروبية (ما قبل البورجوازية) ضد اليهود . فيتحدث ، صادقا هذه المرة ، عن منع اليهود من تعاطي الزراعة او التجارة ، وارغامهم على ممارسة التجارة — الربا خاصة — ويقدم في هذا المجال ادلة تبرهن وتقنع ، وهي ادلة تحفل بها كتابات ليون وغيره . الا انه عندما ينتقل لاستعمال هذه الادلة في سياق حملته على ماركس متهما اياه بالحديث عن « طبيعة » اليهودي التجارية ، و« جوهره » المرابي ، يبدو جاهلا بالكلية تحليل ماركس ، وتحاليل الماركسيين من بعده (ليون على وجه الخصوص) . وهو في رده على الماركسية يقول ان اليهود انما مارسوا التجارة كنتيجة لعملية تاريخية معقدة ارغمتهم على ذلك ، ويبدو ، اذ يدعي هذا الراي لنفسه ، اقرب الى الماركسية التي يهاجمها لانها ترفض هذا المنطق .

وينسب مزراحي الى ماركس « الفكرة التبسيطية القائلة بمجتمع يهودي موحد ومؤلف من تجار اغنياء ومستغلين » ، دون ان يكلف نفسه عناء سوق اي دليل على هذا الادعاء . ولا حاجة للتذكير مجددا بأن الذي تحدث عن اليهود كتجار فاحشي الغنى ، يحل الازدهار الاقتصادي (ومعه الاستغلال بالطبع) اينما حلوا ، هو سومبارت لا ماركس(١٦).

ينتقل مزراحي الان للحديث عن الاطار التاريخي العقائدي الذي عايشه ماركس وتاثر به . فيتكلم اولا عن مفكرين اتخذوا مواقف ايجابية من اليهود. س. ج. دوهم Dohm هو مثال نموذجي على ما يسميه مزراحي بالموقف المتعاطف مع اليهود . ويورد مزراحي للتدليل على رأيه فقرات من كتابات دوهم المذكور ، يظهر فيها هذا مثاليا غارقا في الاوهام ومتعصبا لليهود : « تلقى اليهود من الطبيعة وبدرجة متساوية ، ملكة التحول الى رجال أفضل واكثر سعادة ، واعضاء في الدولة اكثر نفعا ... » (ص ١٤٠) . ويستنتج مزراحي ان دوهم ، فيلسوف القرن الثامن عشر المستنير هو ، فيما اختص بالمسألة اليهودية ، اكثر ماركسية من ماركس نفسه !!! (صهيونية مزراحي تأبى عليه الاعجاب الا بمن يحدثه عن اليهودي الافضل والانفع ...) . ويستفيض مزراحي في الكلام عن مفكر آخر : ج. ج. هامان J. G. Haman وهو كاتب صوفي شديد الاعجاب بالتوراة وبخرافاتها ، سلبي بالنسبة ليهود الدياسبورا لانهم لا يمثلون ، حسب رأيه ، المثال الموسوي .

ويستعرض مزراحي ، في معرض الحديث عن الفلاسفة الالمان اللاساميين ، كلام كانط عن اليهودي — التاجر واستعداداته الفطرية للخديعة، مظهرا ، اي مزراحي ، المغالطات التي وقع فيها هذا الفيلسوف الالماني اللاسامي الذي ينفي كون اليهودية دينا .

ينتقل مزراحي من ثم الى فيخته في خطابه الى الامة الالمانية وتمجيده لها واعتبارها هادية للامم . يتكلم فيخته عن سيطرة اليهود وكرههم للامم الباقية « وهذه هي وجهة النظر التي سيتبناها ماركس بعد خمسين عاما ، متفقا في ذلك مع الفكر الما قبل نازي » (ص ١٥٦) . ويقترح فيخته كحل للتخلص من اليهود ترحيلهم الى فلسطين . (اللاسامية والصهيونية وجهان لعملة واحدة) .

وبعد ان يمر مرورا سريعا بشوبنهاور يصل الى هيغل . ويأخذ مزراحي في تبيان لاسامية هيغل باستعراض المقابلات التي اقامها هذا بين الديانتين المسيحية واليهودية مفضلا الاولى على الثانية ، جاعلا من عيوبها محاسن ، على عكس ما يفعل بالنسبة للدين اليهودي . ويوغل هيغل في تهجمه